الفصل الثاني والثلاثون

امارات عربية شمالية

لقد استغلت القبائل العربية الضعف الذي ظهر على الحكومة السلوقية ، فأخذت تزحف نحو الشمال وتهدد المدن القريبة من البوادي وتحاول الاستيلاء عليها . وقد استولت فعلاً على بعضها وكوّنت حكومات يمكن ان نطلق عليها مصطلح (مشيخة) أو إمارة بحسب مصطلحاتنا السياسية في الزمن الحاضر . وهي حكومات توقفت حياتها على كفاية من كوّنها واقام اسسها ، وعلى كفاية من خلف المؤسسين لها من اشخاص . ولذلك كان عمرها قصيراً في الغالب . وكان حجمها يتوسع أو يتقاص بسرعة ، لأن قوة الحكومات بقوة الحكام ، فاذا كان الحاكم ذا شخصية قوية وارادة وحزم وذكاء ، أغار على جيرانه وهاجم حدود الدول الكبرى ، وأصابها بأضرار تضطرها الى الاعتراف به رئيساً على قبيلته وعلى الأعراب الخاضعين لسلطانه ، ويبقى على مكانته هذه ما دام قوياً ، فإذا خارت قواه ، او ظهر منافس له أقوى منه ، ولا سيما إذا كان منافسه قد جاء حديثاً من البادية بدم نشيط ، ومعه قوم أقوياء أصحاب عدد ، زعزع عن محله المرموق ، وصار الأمر لغيره ، وهكذا .

ويجب ألا ينصرف الذهن الى ان هذه القبائل كانت قد جاءت الى بادية الشأم في هذا الزمن أو قبله بقليل ، فقد سبق أن تحدثت عن وجود الأعراب في هذه البادية قبل هذا العهد بزمان . وقد رأينا كيف حارب الآشوريون الأعراب ، ولم يكن اولئك الأعراب الذين كانوا قد كوّنوا (امارات) لهم في البادية من أبناء

الساعة بالطبع ، بل لا بد ان يكونوا قد هبطوا بها قبل حروبهم مع الآشوريين بزمان لا يعرف مقداره إلا الله ، ولا بد أن يكون اتصال عرب جزيرة العرب بهذه البادية اتصالاً قديماً ، فالبادية والهلال الخصيب امتداد لأرض جزيرة العرب والهجرة بين هذه المواضع قديمة قدم ظهور هذه المواضع الى الوجود .

لم يكن أمام اعراب جزيرة العرب من مخرج حينما تجف أرضهم ويقضي الجفاف على البساط الأخضر الذي يفرشه الغيث في بعض السنين على سطح الأرض مدة غير طويلة ، إلاّ الهجرة الى اماكن يجدون فيها الخضرة والماء ، ليحافظوا بهما على حياتهم وحياة ماشيتهم ، وإلا تعرضوا للهلاك . والخضرة والخصب لا يكونان إلا حيث يكون الجو الطيب والماء الغزير ، وهما متوافران في الهلال الخصيب وفي أطراف جزيرة العرب في الجنوب ، حيث تسعف أبخرة البحر العربي والمحيط تلك الأرضين فتغذيها بالرطوبة وبالأمطار ، لذلك كانت الهجرات الى مثل هذه الأرضين دائمة مستمرة .

ويجد أعراب نجد في البادية وفي الهلال الخصيب ملاذهم الوحيد في الخلاص من خطر الفناء جوعاً ، فيتجهون بحكم غريزة المحافظة على الحياة نحوها، غير مبالين بما سيلاقون من صعوبات ، وأية صعوبات تواجه الانسان أعظم من تحمل الموت جوعاً وببطء .

كانت كل قبيلة من هذه القبائل تضرب خيامها في المواضع التي ترى فيها العشب والماء والمغنم في البادية أو عند الحضر . فاذا وجدت للحضر حكومة قوية احترمتهم ، وان وجدت فيهم ضعفاً ، هزئت بهم ، واستولت على ما عندهم، وأخذت ترعى في أرضهم ؛ ثم هي لا تقبل بكل ذلك ، بل كانت تفرض عليهم (إتاوة) يؤدونها لهم ، مقابل حمايتهم من اعتداء الأعراب الآخرين عليهم . وبذلك تمكن سادات القبائل من فرض سلطانهم على بعض المدن كحمص والرُّها والحضر ، وغيرها من المدن التي حكمتها أُسر عربية ، في رأي بعض الباحثين[1].

وقد وقف الأعراب وقفة تربّص وتأهّب من الحكومات القوية المهيمنة على الهلال الخصيب ، كانوا يراقبون ويدرسون بذكائهم وبخبرتهم السياسية أوضاعها ،

---

١ العرب في سورية قبل الاسلام ، تأليف رينه ديسو ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الجمهورية العربية المتحدة ، (ص ٤) .

فاذا أحسوا فيها ضعفاً بادروا الى استغلاله قبل فوات الأوان . وللأعراب في هذا الباب حاسة غريبة ذات قدرة كبيرة في ادراك مواطن الضعف عند الحضر وعند الحكومات . فاذا تيقنوا بقوة شم حاستهم من وجود ضعف عند الحضر أو عند حكومة ما ، ووجدوا ان في امكانهم استغلاله في صالحهم جاءوا الى من وجدوا فيه ضعفاً بشروط تتناسب مع ضعف مركزه ، وبطلبات يملونها عليه ، قد تكون طلب زيادة (الإتاوات) أي الجُعالات السنوية التي تدفع لهم ، وقد تكون السماح لهم بالزحف نحو ارض الحضر والتوسع في الأرضين الخصبة ذات الكلأ والماء ، وقد تكون طلباً بالاعتراف بسيادتهم على ما استولوا عليه وعلى أعراب البادية ، وما الى ذلك من شروط ، قد تزيد فيها ان وجدت من تتفاوض معهم تساهلاً وقد تتساهل ان وجدت منهم شدة وعجرفة وقوة ؛ مع اللجوء الى الحيل السياسية وذلك بالاتصال سراً مع الجانب الثاني المعادي للانضمام اليه ، وتأييده بحصولهم على شروط أحسن ، وعلى ربح أعلى واكثر مما يعطيهم أصحابهم الذين هم على اتفاق معهم . وسنجد فيما بعد أمثلة على أمثال هذه المفاوضات السياسية السرية تجري مع الفرس ، وأحياناً مع الرومان أو الروم .

وقد علّمت الطبيعة حكومات العراق وبلاد الشأم دروساً في كيفية التعامل والتفاهم مع الأعراب . علّمتهم ان القوة ضرورية معهم ، وان الصرامة لازمة تجاههم ، لكبح جماحهم والحد من غلواء غزوهم للحدود وللحواضر،وان التساهل معهم معناه في نظر الأعراب وجود ضعف في تلك الحكومات ، وان معنى ذلك طلب المزيد . ولذلك أقاموا مراكز محصنة على حواشي الصحارى ، أقاموا فيها حاميات قوية ذات بأس ولها علم بالبادية وبمعاركها ودروبها ، ومعها ما تحتاج اليه من (الميرة) والماء . وبنوا فيها (أهراء) أي مخازن تخزن فيها الأطعمة لتوزيعها على الأعراب عند الحاجة للسيطرة عليهم بهذا الأسلوب كما خزنوا فيها كميات من المياه في (صهاريج) تحت الأرض ، وحفروا بها الآبار للشرب ، ولتموين الأعراب بها أيضاً عند انحباس المطر وحلول مواسم الجفاف . وضعوا كل ذلك في حصون محصنة ، ليس في استطاعة الأعراب الدنو منها أو اقتحامها، لأن عليها أبراجاً وفي أسوارها الحصينة العالية منافذ يرمي منها الرماة سهاماً تخرج منها بسرعة كأنها شياطين ، تخيف ابن البادية ، فتجعله يتحرج من الدنو من تلك الحصون .

ونجد اليوم في العراق وفي بلاد الشأم آثار بعض تلك الحصون التي أقامها حكام العراق وحكام بلاد الشأم لصد غارات الأعراب عن أرض الحضر ، ولتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، حصون منعزلة نائية كأنها جزر صغيرة برزت في محيط من الرمال والأتربة ، بعيدة عن مواطن الحضارة ، عند أصحابها على اقامتها في هذه المواضع ، لتكون خطوط دفاع أمامية تحول بين أبناء البادية وبين الدنو من مواطن الحضر ، وتشغل الأعراب بالقتال حتى تأتي النجدات العسكرية فتصطدم بهم ان تمكنوا من اختراق تلك الخطوط .

وقد علّمت الطبيعة حكام العراق وحكام بلاد الشأم ان القوة وحدها لا تكفي في ضبط الأعراب وتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، علّمتهم ان جيوشهم النظامية لا تستطيع أبداً أن تتعقب فلول الأعراب التي تتراجع بسرعة لا تبلغها عادة الجيوش النظامية في الوصول الى البادية حصن الأعراب الحصين . وعلّمتهم أيضاً ان جيوشهم متى توغلت في البادية فان احتمالات اندحارها واندثارها تزيد عندئذ على احتمالات الانتصار . فالأعرابي هو ابن البادية ، وهو أخبر بها من الحضر، وهو يعرف مواضع (الإكسير) فيها (إكسير الحياة) وهو الماء . لقد خبر آبارها ، وخزن الماء في مواضع احتفرها وجعلها سرية فلا يقف عليها الا خزّانها، لهذا فان من الحماقة محاربة الأعراب في ديارهم،وان من الخير مداهنتهم واسترضاؤهم وذلك بالاتفاق مع سادات القبائل الأقوياء أصحاب الشخصيات والمواهب، على دفع هبات مالية سنوية لهم ترضيهم، في مقابل ضبط الحدود وحمايتها من خطر مهاجمة الأعراب لها وغاراتهم عليها . مهما كان أصل أولئك الأعراب،وفي مقابل الاشتراك مع أولئك الحكام المتحالفين معهم في حروبهم لأعدائهم ، إما بتقديم الخدمات الضرورية اللازمة لهم في الحروب ، مثل تقديم الجمال لهم لحمل الجنود والأثقال والماء وكل ما يحتاج اليه الجيش في عبوره الى البوادي .

وتقرن الجعالات السنوية بهدايا وألطاف يقدمها الحكام الى سادات الأعراب ، وبألقاب مشرفة تبهج النفوس الضعيفة لاستوائهم الى جانبهم ، وبدعوات توجه اليهم في المناسبات لزيارة أولئك الحكام والنزول في ضيافتهم ، فتخلع عليهم الخلع التي تستهويهم وتجعلهم الى جانب أولئك الحكام .

ولأجل الوقوف على حركات الأعراب وسكناتهم ، ولمراقبة أعمال سادات القبائل ، وضعت الحكومات مندوبين عنها في مضارب أولئك السادات ، يتنسمون

الأخبار ويبعثون بها الى الحكام . وقد كانوا في الوقت نفسه بمنزلة المستشارين لهم . وقد يقرنون ذلك بوضع حاميات قوية معهم للدفاع عن أولئك السادات ان جابههم خطر ، أو للضغط عليهم ولردعهم في حالة تفكيرهم بنقض حلفهم مع تلك الحكومات . وقد عرف هؤلاء المستشارون أو (المندوبون الساميون) في عرفنا السياسي في الزمن الحاضر بـ (قيبو) في اللغة الآشورية ، وكانوا يرسلونهم الى مضارب سادات القبائل لتوجيههم الوجهة التي يريدها ملوك آشور ، وللتجسس عليهم وإرسال أخبارهم الى أولئك الملوك حتى يكونوا على بيّنة من أمرهم ، ويتخذوا ما يرون من قرارات تجاههم[1] .

ولم يكن من العسير على حكام العراق وحكام بلاد الشأم ، استبدال سيد قبيلة بسيد قبيلة آخر ، إذا ما وجدوا في سيد القبيلة المحالف لهم صداً عنهم أو ميلاً الى عدوّهم ، أو نزعة الى الاستئثار بالحكم لنفسه والاستقلال .

فالبادية أرض مكشوفة ، وأبوابها مفتوحة لا تمنع أحداً من دخولها ، فإذا جاء سيد قبيلة طامعاً في مركز وأرض وكلأ وماء ، ووجد في عدده وعدّته قوةً ، نافس من نزل قبله ، وطمع في ملكه وتقرب الى الحكام ليحلوه محله ، وليأخذ مكانه . وإذا وجد أولئك الحكام في القادم شخصيةً قويةً وأنه أقوى من السابق، لأنه ظهر عليه بعدد من معه وبقوة شخصيته ، وأن السيد القديم لم يظل ذا نفع كبير لهم ، فلا يهمهم عندئذ ازاحته عن مكانه ، واحلال الجديد محله . وكل ما يطلبه الحكام هو ضمان مصالحهم ، ومن يتعهد بحماية مصالحهم صار حليفهم وصديقهم كائناً من كان . وهكذا البشر في كل مكان وزمان من أية أمة كانوا .

لقد سيطرت القبائل العربية على شواطىء الفرات وهيمنت عليها في أيام السلوقيين . ونجد ساداتها وقد نصبوا أنفسهم عمالاً (فيلاركا) على تلك الشواطىء منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وبعده وتدل أسماء أولئك العمال على أن أصحابها كانوا من أصل عربي ، وأن الأسر التي كونوها هي أسر عربية . وكلما كانت أسماء الملوك الأولين لهذه الأسر أسماء عربية ، كانت أكثر دلالة على أصل أصحابها العربي . فقد جرت العادة أن الملوك المتأخرين يتأثرون بتيارات زمانهم الاجتماعية وبرسومه وعاداته ، فيتخذون ألقاباً وأسماء يونانية أو سُريانية أو فارسية، تظهرهم وكأنهم من أصل يوناني أو سُرياني أو فارسي ، على حين هم من أصل عربي،

---

١ Musil, Deserta, P. 477.

ولهذا كانت لأسماء مؤسس الأسر أهمية كبيرة في إثبات اصل الأسرة[1] .

وقد استغل الأعراب أهمية الطرق البرية التي تمر بالبوادي،وهي شرايين التجارة العالمية بالنسبة لذلك الوقت ، فتحكموا في مسالكها ، واستغلوا أهمية الماء بالنسبة للقوافل والجيوش ، فلم يكن في وسع جيش قطع البادية من غير ماء ، وأخذوا يعاملون المعسكرين : المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي وهو المعسكر الروماني وفقاً لحاجتها الى هذه الطرق والماء ويفرضون على المعسكرين شروطاً تتناسب مع مواقفها العسكرية ومع الأحوال السائدة بالنسبة لتلك الأيام ، وصاروا يجبرون كل معسكر من المعسكرين على تقديم أحسن الترضيات لهم لتقديم خدماتهم له ، والانضمام اليه ضد المعسكر الشحيح البخيل .

ومن هذه الإمارات : إمارة الحضر ، وإمارة (الرُّها) Edessa ، وإمارة (الرستن — حمص) Arethusa — Emesa وإمارة (سنجار) Singara ، وحكومة تدمر ، ثم حكومة الغساسنة في بلاد الشأم ، وحكومة المناذرة في العراق.

ويلاحظ ان بعض هذه الحكومات ، تكونت في مدن كانت قديمة عامرة ، سكانها من غير العرب ، ومع ذلك صارت مقراً لأسر حاكمة عربية ، باستيلاء تلك الأسر عليها وباخضاعها لحكمها واتخاذها مقاماً لهم ، فصار الحكم عليها في أيدي تلك الأسر . أما المحكومون فهم السكان الأصليون،وغالبهم من غير العرب ولسانهم هو لسان بني إرم في الغالب .

وهناك إمارات تكونت على أطراف الحضارة ، وفي مواضع الماء والكلأ في البادية ، أو في مواضع غير بعيدة عن حدود الحاضرة من العراق وبلاد الشأم ، وخاصة في العُقَد التي تتصل بها طرق القوافل ، ويعود الفضل في تكوّنها وظهورها الى هذه الأمور المذكورة ، ولا سيما موضعها من خطوط سير القوافل، حيث يتقاضى سادات تلك المواضع (إتاوات) عن التجارة التي تمر بها ، وعن التجارة التي تحمل اليها لبيعها في أسواقها ، فيتجمع لهم دخل لا بأس به من هذه الجباية التي قد ترتفع أحياناً حتى تصل الى درجات التعسف بالتجار . ويكون سادات هذه المواضع أصحاب حظ عظيم ، اذ كانت مواضعهم عصباً ضرورياً رئيسياً في تجارة البادية ، بحيث لا تجد القوافل الكبيرة المحملة بالتجارة النفيسة بداً

---

١ Die Araber, I, S. 313.

من المرور منها ، فان دخلهم يكون حينئذ كبيراً ، يحملهم على التوسع والطموح وعلى السيطرة على الآخرين بقدر الامكان .

وكما كانت القوافل التجارية والطرق البرية رحمة للمستوطنات الصحراوية التي نشأت وتكونت عند عقد العصب الحساس لهذه الطرق، كذلك صارت تلك الطرق نقمة على تلك المستوطنات . اذ طالما قضت عليها وحكمت عليها بالموت ، فقد يجد التجار وأصحاب القوافل طرقاً أسهل وأقصر في قطعهم للبادية ، أو معاملة أطيب من سيد قبيلة منافس أو حماية عسكرية أقوى ، فيتحولون عن تلك الطرق المسلوكة الى طرق أخرى ، فتموت بذلك المستوطنات المقامة عليها، ويضطر أهلها الى تركها الى مواطن جديدة . وقد كان لاستخدام الطرق المائية من طرق نهرية وبحرية ، أثر كبير في إماتة الطرق البرية أو في منافستها ، كذلك كان للطرق البرية ولا سيما الطرق العسكرية الممهدة التي أقامها الرومان والروم في بلاد الشأم ، أو الفرس في العراق أثر كبير في القضاء على المستوطنات التي نشأت في البوادي، اذ فضّل التجار السير في هذه الطرق المأمونة التي لا يتحكم فيها سادات القبائل في مقدراتهم ، ولا يدفعون ضرائب مرور عن الأرضين على تلك الطرق الموحشة المقفرة المملوءة بالمخاطر والتي يتحكم فيها أبناء البادية في مقدرات التجار،فيفرضون عليهم ضرائب مرور من أرضهم كما يشاءون من غير تقدير لما سيجر ذلك عليهم وعلى التجار من أضرار . وبذلك أعان أبناء البادية بأنفسهم على إماتة مستوطناتهم في بعض الأحيان .

ويظهر من (جغرافية) (سترابو) أن أرض الجزيرة ومنطقة الفرات والبادية المتصلة ببلاد الشأم ، كانت في حكم سادات قبائل . يحكمون وكأنهم (عمال) (فيلارك) Phylarchus . وكان بعض هؤلاء يحكمون أرضين صغيرة ، وحكمهم حكم (مشايخ القبائل) في عرف هذا اليوم : يشتغل أتباعهم بالرعي، وبعضهم يشتغلون بالزراعة ، وآخرون بالتجارة . وكان قسم منهم أعراباً يتنقلون في البادية ، ومنهم أشباه أعراب ، ولا سيما أولئك القاطنين على ساحل العقبة ، أي خليج (أيلة) وقد استغل هؤلاء الأعراب طبيعة أرضهم . فكانوا يجبون (العشر) من النجار . أو يشتغلون هم أنفسهم بالاتجار أو يقومون بنقل التجارة لحساب غيرهم من التجار[1] .

---

١ Die Araber, I, S. 270.

وقد كان الأعراب هم الوحيدين الذين في استطاعتهم حماية الطرق البرية الممتدة بين العالم المتحضر القديم : العراق وبلاد الشأم ، فهم وحدهم سادة البوادي، وفي أيديهم (إكسير الحياة) الماء. لهم آبار أو عيون ، و (صهاريج) سرية يخزنون فيها الماء . ولهم مخازن احتياطية مملوءة بهذه المادة الثمينة الضرورية للحياة، يملأونها من أماكن قد تكون بعيدة عنهم ، ثم يحملونها معهم حيث ذهبوا ، والى منازلهم. وهي قِرَبٌ كبيرة يصنعونها من الجلد ، تموّنهم بالماء ، وتموّن القوافل المارة بهم بما يحتاجون اليه وبما يكفيهم للتنقل من منزل الى منزل آخر . وقد أطلق اليونان على أكثر هؤلاء اسم Scentitae = Skenitai ، بمعنى الساكنين في الخيام .لأن (السكينه) Skenai = Skynai معناها الخيمة والبيت ، وهي تقابل لفظة (سكوت) (سكوث) Sukkot في العبرانية،التي تعني الخيمة والبيت أيضاً[١] .

والـ (سكينيته) Skenitai ، هم كما قلت أهل الخيام ، الخيام المصنوعة خاصة من شعر المعز[٢] ، وهم أعراب يقطنون البادية وطرفي العراق والشأم ، تمتد منازلهم في بلاد الشأم حتى تبلغ الخط الممتد بين Europus و Thapascus في الشمال على رأي (بلينيوس)[٣] ، وتمتد في الغرب حتى تبلغ حدود Apamea ، على رأي (سترابون) . أما حدود مجالات هؤلاء الأعراب من الشرق ، فتمتد من أعالي الفرات حتى تبلغ ملتقاه بدجلة في الجنوب على رأي (سترابون) كذلك[٤]. ويفصلهم النهر عن منازل قبيلة (أتالي) Athali في كورة Characene[٥] .

وذكر (سترابو) أن سادات (سكان الخيام) كانوا يجبون الضرائب من التجار في أثناء مرورهم بمناطق نفوذهم ، وكان بعضهم يشتط عليهم فيتقاضى منهم ضرائب عالية ، ولا سيما أولئك الذين ينزلون على ضفتي النهر ، فتجنب التجار المرور بمناطقهم ، ومنهم من كان يتساهل فيعاملهم بلطف ورعاية[٦] . وذكر أيضاً أن الرومان وسادات الأعراب كانوا يسيطرون على الجانب الغربي للفرات

---

١ Die Araber, I, S. 272, W. Gesenius, Hebr. und Aram. Handwörterbuch, (1921), S. 542.

٢ Paulys — Wissowa, Zweite Reihe, Funfter Halbband, (1927), P 513.

٣ Pliny, VI, 21.

٤ Strabo, XVI, 2.

٥ Paulys — Wissowa, Zweite Reihe, Funfter Halbband, (1927) 513.

٦ Strabo, XVI, I, 27.

حتى اقليم بابل ، وأن فريقاً من سادات القبائل كانوا يشايعون الرومان ، وفريقاً آخر كان يشايع الفرس ، وأن الذين كانوا يسكنون على مقربة مـــن النهر كانوا أقل ميلاً وتوداً الى الرومان من الذين كانوا يقيمون على مقربة من العربية السعيدة[1].

وبلغت منازل الـ (السكينيته) سكان الخيام حدود مملكة (حدياب) Adiabene[2] والجبال في العراق على رأي (سترابو)[3]. ويذكر (سترابو) أن من هؤلاء رعاة، وأن منهم متلصصين، يغزون وينهبون ، ويتنقلون من مكان الى مكان حيث يكون المرعى ، أو تتوافر الغنائم والأموال[4] ، وأن طريق بابل و (سلوقية) الى الشام الذي يسلكه التجار يمر في أرض جماعـــة من هؤلاء الأعراب يعرفون بـ Malli في أيامه . لهم البادية يتحكمون فيها كيفما يشاؤون[5] .

ولا نجد في كتاب (سترابو) شيئاً يتعلق بأصل (السكينيته) ، سكان الخيام، وبالزمن الذي ظهرت فيه هذه التسمية . وقد ذكر ان من مواطنهم مدينـة اسمها Skenai ، وهي معروفة عندهم ، تقوم على (قناة) على حدود أرض (بابل) ، وعلى بعد ثمانية عشر (شوينوى) Schoinoi من مدينة (سلوقية) ، كما ذكر انهم يسمون الآن باسم آخر ، هو : (ملوى) Malloi (مالي) Malli[6] .

وقد ذهب الباحثون مذاهب عدة في تعيين موضع مدينة Skenai ، ان جاز التعبير عنها بلفظة (مدينة) ، فذهب بعضهم الى انها (عُكْبَرا) ، وذهب بعض آخر الى انها (الحيرة) ، فالحيرة بمعنى المخيم والمعسكر ، وهو معنى قريب من معنى لفظة Skenai . وذهب آخرون الى انها (مسكين) أو (مسجين) ، وهو موضع يقع شمال بغداد، أو (بيت مشكنة) . ولكل رأي ودليل في اختياره لذلك المكان[7] .

ويظهر من وصف (سترابو) لأحوال (سكان الخيام)، أي الأعراب . انهم كانوا كثرة ، وقبائل تنتقل مع الماء والكلأ . أما الـ Malloi . فانهم كان منهم

---

١ Strabo, XVI, I, 28.

٢ Paulys, Zweite Reihe, Funter Halbband, (1927), 514, Strabo, XVI, I, 27.

٣ Strabo, XVI, I, 26.

٤ Strabo, XVI, I, 26.

٥ Paulys, Zweite Reihe, Funfter Halbband, 1927, 514, Strabo, XVI, I, 27.

٦ Die Araber, I, S. 271, Strabo, 16, 748, XVI, 26,
Paulys, Zweite Reihe, Funfter Halbband, 1927, S. 513.

٧ Die Araber, I, S. 272, Ed. Sachau, Die Chronik von Arbela, 1915, 62.

أشباه مستقرين ، وآخرون مستقرون ، تكاد منازلهم تكون ثابتة،ولهم نظام يمكن أن نسميه نظام حكومـــة . ويدير شؤونهم سادات منهم ، يشرفون على أعرابهم ويرعون طرق القوافل التي تمر بأرضهم،لأنها تأتي لهم بفوائد كبيرة[1] .

ومن الإمارات التي يرجع كثير من الباحثين أصول حكامها الى أصول عربية: الحضر Hatra ، و (إمارة حمص) Emesa و (إمارة الرُّها) Edessa ، والرصافة ، وتدمر،وإمارات أخرى . وهي إمارات لا يمكن أن نقول ان ثقافتها كانت ثقافة عربية ، وان غالب سكانها كانوا من العـرب ، ولكننا نستطيع أن نقول ان العرب كانوا يتحكمون فيها ، وان هنالك أدلة تزداد يوماً بعد يوم ، تزيد في الاعتقاد بأن العنصر العربي كان قوياً فيها ، وان سكانها كانوا عرباً ، ولكنهم تأثروا بالمحيط الذي عاشوا فيـه ، فتثقفوا عـــلى عادة تلك الأيام بثقافة بني إرم ، واتخذوا من لسان بني إرم لساناً لهم في الكتابة ، ومن قلم بني إرم قلماً لهم يكتبون به ويعبّرون عن احساسهم وشعورهم وعلمهم به .

أما (الحضر) ، فهي اليوم آثار شاخصة في البريـــة بوادي الثرثار جنوب غربـي الموصل ، على بعـــد (١٤٠) كيلومتراً منها . ولعلماء الآثار آراء في أصل التسمية ، فمنهم من ذهب الى انها من أصل إرمي ، ومنهم من ذهب الى انهـا من أصل عبراني إرمي ، ومنهم من رجح انها من أصل عربـي ، بمعنى (الحيرة) أي (العسكر) ، وقد عرفت بـ (اترا) Atra و Atrai في اليونانيـــة ، وبـ (هترا) Hatra في اللاتينية[2] . وهي (حطرا) في الكتابات التي عثر عليها في الحضر[3] .

ويرى (هرتسفلد) E. Herzfeld ان القبائل العربية هي التي أسست هـــذه المدينة ، أسستها في القرن الأول قبل الميلاد حصناً منيعاً أقام ساداتها فيه مستفيدين من الخلاف الذي كان بين الفرث واليونان،حيث استغلوه بذكاء وحنكة: فحصلوا على أموال من الجانبين ، لما لموضعهم من الشأن العسكري والسياسي والاقتصادي . وكانوا كلما ازداد مالهم وبرزت أهميتهم، ازدادت المدينة توسعاً وبهاءً وعمراناً،حتى صارت

---

١ Die Araber, I, S. 274.

٢ Brockelmann, Lexi, Syriacum, 1928, 228, Levy — Goldschmid Wörterbuch über die Talmudim und Midraschim, Bd., 2, 1922, 40a, Die Araber, I, S. 275.

٣ Die Araber, I, S. 275, II, S. 225.

مدينة كبيرة ذات شأن ، سكنتها جاليات أجنبية أيضاً ، أنجزت ، وتولت الوساطة في البيع والشراء ، ونقل تجارة آسية الى تجار أوروبة . وتجارة أوروبة وحاصلاتها الى تجار آسية[1] .

وقد قوّت الكتابات الإرمية التي عثر عليها في (الحضر) سنة (١٩٥١ م) رأي (هرتسفلد) ، القائل بأن الذين أسسوا هذه المدينة هم قبائل عربية، وذلك لورود أسماء عربية فيها مع اسماء إيرانية وإرمية . وقد وجد أن نسبة الأسماء العربية تزيد على نسبة الأسماء العربية في كتابات مدينة (تدمر) ، وهي مكتوبة بلغة (بني إرم) كذلك ، وهذا مما يدل على وجود جالية عربية قوية في الحضر[2] . ولكن ذلك لا يعني في الزمن الحاضر أن غالب السكان كانوا عرباً .

وقد نُعت رئيس معبد الحضر الكبير بـ (سادن العرب) ، على غرار تلقيب ملوك الحضر أنفسهم بـ (ملوك العرب)[3] . واسم هذا السادن ، هو (افرهط)، وقد قال عن نفسه : (رب ي تا دي عرب) ، أي: (أفرهط سادن العرب)، وذكر مترجم النص أن المألوف في كتابات الحضر أنها لا تنسب الكاهن الى عبدة الإلـه أي المتعبدين، ولكن تنسبهم الى الآلهة ، بأن يكتب (سادن الإلـه ...)، لا (سادن عبدة الإلـه ...) ، كما هـو في هذا النص ، ويرى مترجمـه أن (أفرهط) قد خالف المألوف ، وخالف عادة القوم . تقليداً لمـا فعله الملك (سنطروق) ملك الحضر من تلقيب نفسه بـ (ملك العرب)[4] (ملك الأعراب).

وقد عثرت مديرية الآثار العامة في العراق على نص وسمتـه بـ (٧٩) من النصوص التي عثر عليها في الحضر ، جاء فيه اسم المدينـة (الحضر) ، لأول مرة ، فلم يسبق ورود هذا الاسم في نصوص سابقة . وقد ورد على هذا الشكل: (حطرا) ، على نحو ما ينطق به في لغة (بني إرم)[5] . كما وردت فيه جملة :

---

١ E. Herzfeld, Hatra, In ZDMG., 68, 1914, 663, U. Kahrstedt, Artabanss, III, 67, Die Araber, I, S., 275, Th. Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber, 1879, 33, F. Altheim, Die Krise der Alten Welt, I, 1943, 132, 206.

٢ Die Araber, I, S. 276.

٣ مجلة سومر ، المجلد الحادي والعشرين ، ١٩٦٥ ، (كتابات الحضر) ، لفؤاد سفر ، (ص ٢٢) .

٤ سومر ، العدد المذكور (النص رقم ٢٢٣) (ص ٣٨) .

٥ راجع السطر ١٤ ، وهو السطر الأخير من النص المذكور ، مجلة سومر ، السنة (١٩٦١) ، المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني ، (ص ١٢ ، ١٥ ، ١٧) .

« وبالحظوظ العائدة الى العرب »[1] ، وهي جملة ذات دلالة مهمة بالطبع ، لأنها تشير الى العرب ووجودهم في هذه المنطقة ، كما ذكر فيه (عربايا) (عربواو)[2] ، ولاسم اقليم (عربايا) شأن كبير ، لأنه نسبة الى العرب ، وفيه تقع مدينة الحضر.

أما أسماء ملوك الحضر ، فهي أسماء غير عربية النِّجار ، يظهر على بعضها أنها إيرانية ، وعلى بعض آخر أنها إرمية . غير ان علينا ان نفكر في أن التسميات لا يمكن ان تكون أدلة يستدل بها على أصل الناس . فقد كانت العادة تقليد الأجانب ومحاكاتهم في اختيار أسمائهم ، ولا سيما عند الحكام والملوك . فقد كانوا يختارون لهم في كثير من الأحيان أسماءً أو ألقاباً من الدول القوية التي تتحكم في شؤونهم والتي لها سلطان عليهم . فقد لقب جماعة من ملوك (البطوريين) أنفسهم بـ (بطلميوس) ولقب نفر منهم أنفسهم بـ (ليسنياس) Lysanias وبـ (فيلبيون) Philippion ، وهي من التسميات اليونانية ، مع أن البطوريين ليسوا يونانيين[3] . كذلك نجد اللحيانيين يقلدون اليونان ، فيلقبون أنفسهم بـ (بطلميوس) ، مع أنهم عرب ، وهكذا قل عن أهل (الرها) و (تدمر) وأمثالهم فإنهم هم وملوكهم قد قلدوا اليونان في أسمائهم وفي اتخاذ ألقاب يونانية لهم ، وهم مع ذلك ليسوا من اليونان . ولهذا لا نستطيع أن نحكم على أصل الانسان استناداً الى الألقاب والأسماء . وينطبق هذا الرأي على ملوك الحضر أيضاً ، فإن (سنطروق) وهي تسمية إيرانية فرثية ، لا يمكن أن تقوم دليلاً على ان أصله من الفرث[4] .

ويلاحظ ان كثيراً من كتابات الحضر ، لا يكتفى فيها بذكر اسم الشخص واسم أبيه ، وانما يذكر فيها اسم جده أيضاً ، واسم والد جده أحياناً . وقد عثر على كتابة ورد فيها اسم ستة أجداد . ونجد هذه الطريقة في الكتابات الصفوية كذلك ، وقد استدل (اينو ليتمان) E. Littmann من طريقة تدوين الصفويين لأنسابهم على هذه الصورة على انهم عرب ، لأن العرب يعتنون بالنسب أكثر من عناية غيرهم به ، فيذكرون أسماء الآباء والأجداد . ولذهاب بعض أهل الحضر هذا المذهب في تدوين أنسابهم ، رأى بعض الباحثين ان أصحاب هذه الكتابات

---

١ العدد المذكور (سطر ١٠) من النص .
٢ العدد المذكور (سطر ١٤) .
٣ Die Araber, I, S. 278.
٤ Die Araber, I, S. 280.

هم من أصل عربي[1] .

وما زال تأريخ الحضر غامضاً ناقصاً ، فيه فجوات واسعة ، لم تملأ حتى الآن . ويرى الذين عنوا بدراسة تأريخها انها تعود الى القرن الأول قبل الميلاد ، وربما امتد تأريخها الى ما قبل ذلك . وأما ازدهارها ، فقد كان في ايام (الفرث) Parthians ، وهم (الاشكانيون) و (ملوك الطوائف) في الكتب العربية . وقد عاركت (الرومان) و (الساسانيين) ، وتعرضت للخراب والدمار في ايام (سابور) المعروف بـ (سابور الجنود) في الكتب العربية ، وذلك سنة (٢٤١) للميلاد . ولم تتمكن بعد هذا الحادث من استعادة نشاطها وقوتها، فذكر ان جيشاً رومانياً مرّ بها سنة (٣٦٣) للميلاد ، فوجدها خراباً[2] .

ومن ملوك الحضر ، الملك (سنطروق) ، وقد ورد اسمه في طائفة من الكتابات . ويظهر انه كان مؤسس سلالة ملكية من السلالات التي حكمت هذه المدينة . وقد عرف ابوه باسم (نصرو مرى) (نصر)[3] . ولعله كان اول من ملك الحضر . ويظهر ان اباه لم يكن ملكاً ، ولكن كان كاهناً . وقد ورد اسمه في نص رقم برقم (٨٢) من نصوص الحضر ، مؤرخ بسنة (٣٨٨) من التقويم السلوقي ، الموافق لسنة (٧٧) للميلاد . ومعنى هذا ان الملك (سنطروق) كان يحكم في النصف الثاني من القرن الأول للميلاد . ولا يستبعد ان يكون قد حكم قبل هذا العهد . ويعد هذا النص من اقدم النصوص المؤرخة التي عثر عليها في هذه المدينة[4] .

وقد عثر على كتابات اخرى ، ورد فيها : (سنطروق ملك بن نصرو مريا)[5] . ولورود جملة (ملك العرب) بعد اسم الملك شأن كبير بالطبع ، لأنها توضح علاقة هذا الملك بالعرب بكل جلاء .

وقد أمكن الحصول في هذا اليوم على أسماء عدد من حكام الحضر . منهم : (اورودس) (ورود) ، وكان يلقب بلقب (مريا) ، اي (السيد)

---

١ Die Araber, I, S. 280.

٢ مجلة سومر ، المجلد الثامن ، الجزء الاول (١٩٥٢) (ص ٣٩ وما بعدها) .

٣ لعله (نصرو مديا) .

٤ مجلة سومر ، (١٩٦١ م) المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني (ص ٢٢ وما بعدها) .

٥ سومر ، العدد المذكور (ص ٢٢) ، حاشية (٣) .

و (الرئيس) . و (نصرو) (نصر) ، وقد لقب بلقب (مريا) كذلك. وهو ابن (نشرى هبه) (نشرى هاب)[1] ووالد الملك (سنطرق) (سنطروق) الموسوم بـ (الأول) . ثم (ولجس) (ولجش) (ولوجس) ، وقد لقب بـ (مريا) أي (الرئيس) في أحد النصوص وبلقب (ملكا ذي عرب) ، أي (ملك العرب) (ملك الأعراب)[2] ، في نص آخر . مما يدل على أنه عاف لقب (مريا) ، أي السيد او الرئيس ، الذي لقب به في أول عهده بالحكم ، وهو لقب أسلافه ، واستبدله بلقب (ملك) . وهو أضخم من لقب (مريا) بالطبع .

وقد عثر على تمثال كتبت على قاعدته جملة : (تمثال ولجش ملك العرب) . وقد أقام ذلك التمثال وأمر بتسطير الكتابة (جرم اللات بن حيي)[3] .

ثم الملك (سنطرق) (سنطروق) الأول ، وهو ابن (نصرو) (نصر) (نصر ومريا) ، وقد لقب بـ (ملكا دي عرب) ، أي (ملك الأعراب)[4] وقد كان حكمه في النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد (٧٧ = ٧٨ م)[5].

ثم الملك (عبد سميا) ، الملقب بلقب (ملكا ذي عرب) (ملكا دي عرب)، وهو والد الملك (سنطرق) (سنطروق) الثاني[6] .

والملك (سنطرق) (سنطروق) الثاني ، وهو ابن الملك (عبد سميا) ، هو والد ملك آخر اسمه (عبد سميا) كذلك[7] . وملك آخر اسمه (معنا) (معنى) أي (معن) في عربيتنا[8] .

ولعل (تراجان) (٩٨ — ١١٧ م) الامبراطور الروماني ذا المطامع الواسعة في الشرق الأدنى ، كان قد فكر في الاستيلاء على الحضر في عهد (سنطرق) (سنطروق) او ايام (عبد سميا) . اذ عثر على منار في طريق سنجار دوّن عليه اسمه ، يشير الى وصوله الى هذه المواضع من العراق . ولكن الرومان لم

---

١ النص رقم ١٩٤ ، Die Araber, IV, S. 266.
٢ النصوص : ١٤٠ ، ١٩٣ ، Die Araber, IV, S. 266.
٣ Nr. 193, Die Araber, IV, S. 260.
٤ النص ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٩ .
٥ Die Araber, IV, S. 266.
٦ النص ١٩٥ .
٧ النص ٢٨ و ٣٦ و ١٩٥ ، Die Araber, IV, S. 267.
٨ راجع النص في : Die Araber, II, S. 249, 267.

يتمكنوا من الاستيلاء على الحضر ، وبعد ان حاصروها مدة ، تراجعوا عنها ، لأنهم وجدوا صعوبة في فتحها ، وعادوا الى (أنطاكية)[1] .

وقد ورد في النص (١٣٩) اسم (نشرى هب) ، وهو ابن (نوهرا) ، وهو ابن (سنطرق) (سنطروق) ، الملقب بلقب (ملكا) اي (الملك)[2] .

ويظن ان حكم (اثل ملكا) ، اي الملك (اثل) (أثال) او (اثال الملك) بتعبير اصح ، والذي ورد اسمه في النصوص ، دون ان يذكر اسم والده ، كان يحكم الحضر في منتصف القرن الثاني للميلاد ، او في النصف الثاني منه ، وهوملك لا نعرف صلته بالملوك المتقدمين[3] .

واما (برسميا) ، فقد كان من معاصري (سبتيميوس سفيروس) Septimius Severus الذي كان حكمه في حوالي السنة (١٩٣) الى السنة (٢١١) بعد الميلاد[4] . وكان من خصومه المزعجين . فقد صبر بجنوده ودافع معهم عن اسوار مدينته حتى اكرهه على فك الحصار عن الحضر وعن التراجع عنها ، بسبب العطش الذي اثّر في جيشه ، على حين كان الماء كثيراً في المدينة مخزوناً عندهم. وبسبب المقاومة العنيفة التي اظهرها الفرسان العرب ، وإلقاء اهل الحضر ، قنابل النفط على جيوش الرومان ومقاومتهم مقاومة عنيدة حملت الرومان على التراجع عن المدينة وفك الحصار عنها[5] .

ولما ظهرت الدولة الساسانية كانت الحضر على صلات طيبة بالرومان . وكانت تلعب دوراً خطيراً في عالم التجارة لموقعها المهم بالنسبة لطرق القوافل لذلك الوقت، فتحرش بها الساسانيون وغزوها ، ثم دمروها في الأخير ؛ وكان سبب ذلك هو أن (اردشير) الأول ، مؤسس الدولة الساسانية ومهدم كيان الدولة الأشكانية ، دولة الفرث ، لما انتصر على دولة الفرث ، حارت الدويلات الصغيرة ، وفي جملتها حكومة الحضر ، في أمرها ، وظنت أن النصر سيكون للفرث ، فوقفت موقف الحذر من الساسانيين ، ورأى ملك الحضر (الضيزن) أن من الأصلح له

---

١ Dilleman, Haute Mesop., 129.

٢ سومر ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S. 259, A. Caquot 258.

٣ Die Araber, IV, S. 267.

٤ Die Araber, IV, S. 267.

٥ Dio Cassius, LXXVI, 2.3, LXXVI, 9.4, II, 12, Herodian, III, 9, 12, Fr. Stark, Rome on the Eupfrates, PP. 255.

ان ينضم الى الرومان الذين كانوا قد توجهوا نحو الشرق ، واستولوا على (ميديا)، وان يهاجم الفرس . فهاجمهم وتغلب عليهم في معركة (شهر زور) كما تذكر الموارد العربية ، وأسر بنتاً من بنات ملك الفرس[1] . وكان ذلك في حوالي السنة (٢٣٢) للميلاد تقريباً . فسار (سابور) الأول ، وهو (سابور الجنود)، وهو ابن الملك (أردشير الأول) ، الى الحضر يريد الانتقـــام من (الضيزن) ، فتحصن (الضيزن) ، وأناخ (سابور) على حصنه أربع سنين ، من غير أن يتمكن من فتحها ، ثم ان ابنة للضيزن اسمها (النضيرة) رأت (سابور) فوقعت في حبه ، فراسلته وأرشدته الى طريقة يتمكن بها من احداث ثغرة في سور المدينة ففتحها ، واستولى عليها وقتـــل أباها ، وأباد أهل المدينة ، وأخذ (سابور) النضيرة فأعرس بهـــا بعين التمر ، ثم تذكر خيانتها (فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غدائرها بذنبه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً)[2] .

وقد تعرض (الطبري) لمدينة الحضر ، فقال : (وكان بحيال تكريت بـــين دجلة والفرات مدينة يقال لها : الحضر،وكان بها رجل من الجرامقة ، يقال له: الساطرون ، وهو الذي يقول فيه أبو دواد الإيادي :

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ ـر عـــلى ربّ أهله الساطرون

والعرب تسميه الضيزن ، وقيل : إن الضيزن من أهل باجرمى .

وزعم هشام بن الكلبي انه من العرب من قُضاعة ، وانه الضيزن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حُلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ، وان امه من تزيد بن حلوان اسمها جيهلة ، وانه انما كان يعرف بأمه . وزعم انه ملك ارض الجزيرة،وكان معه من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاعة ما لا يحصى ، وان ملكه كان قد بلغ الشأم ، وانـــه تطرّف من بعض السواد في غيبة كان غابها الى ناحيـة خراسان سابور بن أردشير . فلـــما قدم من غيبته ، اخبر بما كان منه . فقال : ذلك من فعـل الضيزن ، عمرو بن إلة بن الجُدّى بن الدهاء بن جشم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعـة ... فلما

---

١ مجلة سومر ، المجلد الثامن (١٩٥٢ م) ، الجزء الاول ، (ص ٤٣) .
٢ الطبري (٢/٤٩ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١/٣٨١ وما بعدها) ، Die Araber, III, S. 108.

اخبر سابور بما كان منه ، شخص اليه حتى اناخ على حصنه ، وتحصن الضيزن في الحصن ، فزعم ابن الكلبي انه اقام سابور على حصنه اربع سنين ، لا يقدر على هدمه ولا على الوصول الى الضيزن[1] . ثم ذكر قصة ابنة الضيزن مع سابور وخيانتها لأبيها وكيف كان مصيرها .

ويذكر (الطبري) في روايته التي يرفعها الى (ابن الكلبي) ، ان سابور أباد أفناء قضاعة الذين كانوا مع الضيزن ، فلم يبق منهم باق ، واصيبت قبائل من بني حلوان ، فانقرضوا ودرجوا . ثم ذكر في ذلك شعراً نسبه الى (عمرو بن إلة) ، وكان مع الضيزن[2] .

وروى (ابن خلدون) ان الملك بالحضر كان لبني العبيد بن الأبرص بن عمرو ابن اشجع بن سليح ، وكان آخرهم (الضيزن بن معاوية بن العبيد) المعروف بالساطرون[3] . وذكر (البكري) ان (سابور ذا الأكتاف) لما اغار على الحيرة وهزم اهلها ، سار معظمهم الى الحضر ، يقودهم (الضيزن بن معاوية التنوخي) فنزلوا به ، وهو بناء بناه الساطرون الجرمقاني ، فأقاموا به مع الزباء ، فكانوا رجالها وولاة امرها . فلما قتلها (عمرو بن عدي) ، استولوا على الملك حتى غلبتهم غسان . وقد فرق البكري بين الضيزن والساطرون[4] .

وقد ورد في أثناء القصص المروي عن الضيزن والحضر شعرٌ نسبوا بعضه الى (أبي دُواد الإيادي) ، وبعضه الى (الأعشى ميمون بن قيس) ، وبعضاً آخر الى (عمرو بن إلة) وبعضاً الى (عدي بن زيد العبادي)[5] . ونجد في شعر الأعشى ، خبر حصار (شاهبور الجنود) حولين للحضر ، وذكر (عدي ابن زيد العبادي) في شعره أن صاحب الحضر شاد حصنه بالمرمر ، وجلله كلساً ، وللطير في ذراه وكور . ثم باد ملكه . فصار بابه مهجوراً ، بعد أن كانت دجلة تجبى له والخابور[6] . وهو من هذا الشعر الحزين الذي يغلب عليه طابع الموعظة

---

١ الطبري (٢/٤٧ وما بعدها) (دار المعارف) ، أيضا (الضيزن بن جلهمة أحد الأحلاف) ، البلدان (٣/٢٩٠) ، في الأغاني (جبهلة) ، الاغاني (٢/١٤٠) .

٢ الطبري (٢/٤٩) .

٣ ابن خلدون (٢/٢٤٩) .

٤ معجم ما استعجم (ص ١٧) (طبعة وستنفلد) ، المشرق : السنة الخامسة عشرة ، الجزء ٧ ، تموز ١٩١٢ ، ص ٥١٦ ، Ency., II, P. 207.

٥ الطبري (٢/٤٧ وما بعدها) ، نهاية الارب (١/٣٨١ وما بعدها) .

٦ الطبري (٢/٥٠) .

واحتقار الدنيا وازدرائها ، وهو طابع أغلب الشعر المنسوب الى الشاعر البائس .

والساطرون، هو (سنطروق) في كتابات الحضر ، حرّف ، فصار الساطرون عند أهل الأخبار[1] . وهو لفظ إيراني الأصل انتقل من اللسان الإيراني الى لغة بني إرم ، فصار (سنطروق) ، وصير (سنتروسس) في اللغة الإغريقية . وقد عرف بهذا الاسم أحد الملوك الفرث (الاشكانيين) (سنة ٧٦ أو ٧٥ — حتى ٧٠ أو ٦٩ ق. م.)[2] .

وإذا أخذنا برواية (الطبري) من أن (الساطرون) كان من الجرامقة ، فمعنى ذلك أنه كان من (بني إرم) ، أي من الآراميين . وهم سكان (جرمقايا) (جرمقايه) الواقعة شرق دجلة جنوب (الزاب) الصغير ، وقد عرفوا بالجرامقة نسبة الى هذه الأرض[3] . وإذا أخذنا بروايته ايضاً من أن الساطرون كان يعرف بالضيزن ، وأن (الضيزن) هو من أهل (باجرمى)[4] ، فإن في الرواية الثانية تأييد للرواية الأولى من ان الساطرون كان من بني إرم ، ولم يكن من العرب[5] .

غير ان (ابن الكلبي) يقول انه من العرب وانه من قضاعة من جهة الأب، وانه من (تزيد) من جهة الأم ، وانه ملك ارض الجزيرة ، وان ملكه بلغ الشأم ، وكان معه من (بني عبيد بن الأجرام) وقبائل قضاعة . وانه انتهز فرصة غياب (سابور بن أردشير) الى ناحية خراسان ، وتطرف في بعض ناحية السواد . فلما قدم (سابور) من غيبته اخبر بما كان منه ، فشخص اليه حتى اناخ على حصنه اربع سنين في رواية (ابن الكلبي) ، وحولين كما جاء في شعر (الأعشى)[6] .

وقد انكر (نولدكه) رواية (ابن الكلبي) بشأن حصار (سابور) للحضر . وقد كانت الحضر قد فتحت في عهد (أردشير) الأول ، وذلك قبل وفاته في

---

١ Ency., II, P. 207, Herzfeld, In ZDMG., LXVIII, Nöldeke, Gesch. der Perser und Araber, S. 33.

٢ مجلة سومر ، (١٩٥٢ م) ، المجلد الثامن الجزء الاول ، (ص ٤٠) ، Die Araber, IV, S. 267.

٣ Die Araber, III, S. 13, IV, S. 108.

٤ الطبري (٢/٤٧) (دار المعارف) .

٥ Die Araber, III, S. 108.

٦ الطبري (٢/٤٧) .

سنة (٢٤١) للميلاد . وكان ابتداء حكم (سابور) الأول سنة (٢٤١) ، لذلك رأى (نولدكه) وغيره ان قصة (الضيزن) لا علاقة لها بهذا (السابور) ، بل بملك آخر من ملوك الساسانيين . وان (الضيزن) المذكور كان رئيساً من رؤساء قبائل عربية متنفذة كانت تغير من (الجزيرة) ومن الغرب على ارض السواد[1] .

ورجحوا كون (سابور) اهل الأخبار هو (سابور) الثاني الذي حكم من سنة (٣٠٩) حتى سنة (٣٧٩) للميلاد . وقد عرف هذا الملك بغزوه للعرب،وهو صاحب (الأنبار) و (خندق سابور) الذي حفره لحماية الأرض الخصبة المأهولة من هجمات الأعراب . وقد كان هذا الملك قد غزا (خراسان) وغزا ارض بكر وتغلب التي تقع بين الروم والفرس (المناظر) ، وحيث كانت تنزل قضاعة ايضاً[2] .

وقد رأى بعض الباحثين ان تعبير (سابور الجنود) (شاهبور الجنود) الوارد في شعر (الأعشى) و (عمرو بن إلة) تعبيراً يشير الى ان (سابور) المذكور لم يكن ملكاً ، بل كان قائداً من قادة الجيش ، وان هذا التعبير هو ترجمة لمصطلح (اصبهبذ) Spahbad الذي يعني (صاحب الجيش) . وان المقصود به رجل اسمه (شابور) (سابور) وكان بدرجة (اصبهبذ) (اسبهبذ) على (الري) ، وذلك في ايام (قباذ) الأول (٤٨٨ — ٥٣١ م) . واما (الضيزن) ، فهو عامل من العمال العرب من سادات القبائل ، قد يكون (طيزانيس) الذي كان في أيام (قباذ) ، الذي يجوز أن يكون صاحب المدينة المسماة (طيزن آباد) و (مرج الضيازن) على الفرات[3] .

ومن القبائل التي ورد اسمها في كتابات الحضر ، قبيلة عرفت بـ (بني تيمو)[4] (بني تيم) . وهي قبيلة قد تكون لها صلة بقبيلة ورد اسمها في كتابات عثر عليها في وادي حوران بالعراق ، وفي كتابات عثر عليها في تدمر . ويظهر أنها

---

١ Die Araber, III, S. 109.

٢ الطبري (٢/٥٥ فما بعدها) (ذكر ملك سابور ذو الاكتاف) .

٣ Die Araber, III, S. III.

٤ سومر ، (١٩٦٥) ،المجلد الحادي والعشرون ، الجزء الاول والثاني ، (ص٣٣)، النص رقم ٢١٤ .

كانت من القبائل المعروفة في الجزيرة وفي بادية الشأم في القرن الأول قبل الميلاد فما بعده ، ويدل اسمها على أنها من القبائل العربية المتنقلة التي انتشرت بطونها في منطقة واسعة في ذلك العهد[1] .

هذا ما عرفه أهل الأخبار عن الحضر وعن أهل الحضر . فهم على رأيهم من عرب قضاعة نزلوا هذه المواضع في زمن لم يحددوه ، وأقاموا هناك .

ولا اظن ان ما أورده (ابن الكلبي) عن الحضر قد جاء به من عنده ، فلا بد أن يكون قد أخذه من موارد فارسية أو ارمية ، وأغلب ظني انه اخذ ذلك عن اهل الحيرة ، وقد كان لرجال الدين فيها من النصارى علم بالتواريخ . أخذوا علمهم هذا من موارد متعددة ، وعنهم نقل ما أورده عن الحضر .

وأما مملكة (الرها) Edessa ، وتعرف بـ (أورفة) (أُرفه) أيضاً ، فإن معارفنا عنها من ناحية صلتها بالعرب لا تزال ضئيلة ، وهي من مدن الجزيرة العليا . وقد أزهرت قبل الميلاد ، وظهرت مثل جملة مـــدن في هذه المنطقة ، منها : (بتنى) ، ونصيبين ، و (سنكارا) Singara أي (سنجار)[2] .

وقد أدخل (بلينيوس) (الرهـا) Edessa و Carrhoe = Callirhoe في جملة مدن (العربية)[3] . ويقال للرها (أورهة) Orrhoe = Orhai في السريانية . وهي من (ديار مضر) المعروفـة باسم Orrhoene = Osrhoéne قديماً[4] . وهي Orroei في تأريخ (بلينيوس)[5] . ومن جملة الأرضـين الداخلة في العربية[6] ، ومن المدن التي جدد بناءها (سلوقيـوس الأول) Seleuces[7] . وعرفت أيضـــاً باسم (انطوخية) ، نسبـــة الى (انطيوخس) Antiochus الرابع[8] .

---

١ المصدر نفسه ، القسم الانكليزي (ص ١٠) .
٢ مجلة سومر ، (١٩٥٢ م) ، المجلد الثامن ، الجزء الأول ، (ص ٣٨) .
٣ Pliny., V, XXI, 86, Vol., II, P. 287.
٤ المشرق : السنة الخامسة عشرة : الجزء ٣ آذار ١٩٥٢ (ص ٢٠١ وما بعدها) ، Ency., III, P. 993, Hill, P. XGIV, Lane, P. 263.
٥ Pliny., V, XX, 85, VI, 25, 129, VI, IX. 25, Vol. II. P. 285, 355, 437.
٦ Pliny., V, XX, 85, Vol. II, P. 284, 285.
٧ Euseblus - Hieronumus, Chron., P. 127.
٨ Pliny., V, XX, 86, Ency., III, P. 993, Hill, P. XGIV.

وقد تكوّنت في القرن الثاني قبل الميلاد مملكة في هذه المقاطعة، مقاطعة Osrhoene = Orroei . مملكة عدّ الكتبة اليونان والرومان ملوكها من العرب ، وعدّوا سكانها عرباً كذلك ، ويعزو (روستوفتزيف) Rostovtzeff سبب تكوّنها الى حالة الفوضى التي ظهرت في (ما بين النهرين) على أثر انحلال دولة السلوقيين واحتلال الفرث (الاشكانيين لها)[1] . وذكر (بروكوبيوس) ان هذه المقاطعة انما دعيت Osroes نسبة الى ملك اسمه Osroes كان يحكم هذه الأرض في الأيام الغابرة ، وكان حليفاً للفرس[2] .

وقد وجدت اسماء ملوك (الرها) مرتبة ترتيباً زمنياً بحسب حكم الملوك في (حولية الرها) Edessene Chronicle المدونة حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد ، وفي حولية اخرى هي (حولية زقنين) على مقربة من (آمد) المدونة حوالي سنة (٧٧٥) بعد الميلاد، كما وجدت اسماء بعضهم على نقود ضربت في ايامهم[3] . ويظهر من دراسة هذه الأسماء ان بينها اسماء عربية نبطية ، مثل : (معنو) وهو (معن) ، و (بكرو) وهو (بكر) ، و (عبدو) وهو (عبد) ، و (سهرو) او (سحرو) اي (سهر) او (سحر) ، و (أبجر) ، و (مزعور) او (مذعور) . و (وائل)[4] . وقد استدل بعض الباحثين من تسمي ملوك (الرهاء) بأسماء عربية ، ولا سيما الملوك الأولين منهم ، ومن نص (بلينيوس) على ان كورة Osrhoene ، هي كورة عربية ، ومن الوضع السياسي العام في الجزيرة Mesopotamia في القرن الثاني وما بعده قبل الميلاد ، اذ كانت القبائل العربية قد توغلت في هذه المنطقة ، استدل من كل ذلك على ان اهل الرها وحكامها كانوا من اصل عربي[5] .

وقد نسب بعض أهل الأخبار بناء (الرها) الى رجل سمّوه (الرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر) (ذعر) ، او الى (الرهاء بن سبند بن مالك بن

---

١ Rostovtzeff, The Social, II, P. 842, Poidebared, Texte, P. X, 72, 94, 129, 138, 148 198.

٢ Procopius, I, XVII, 24.

٣ Ency., III, P. 994, Hill, P. XGV, XGVI.

٤ Ency., III, P. 994.

٥ Die Araber, I, S. 312.

دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم)[1] . وذكر (ياقوت) نقلاً عن (يحيى بن جرير النصراني) ان اسم (الرها) هو (أذاسا) في الرومية ، وقد بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر ، بناها الملك (سلوقس)[2] . وقد أخذ (يحيى ابن جرير) قوله هذا من كتب سريانية أو يونانية ولا شك . وقد انتزعها المسلمون في سنة (٦٣٩ م) من ايدي الروم[3] .

ومن آلهة (الرها) ، الإلهان : Azizus = Azizos و Monimos، ويرى (موردتمن) Mordtmann أن اسمي هذين الإلهين ليسا إرميين ، ولكنهما عربيان أصليان ، وأن احدهما وهو Azizus — هو عزيز ، والآخر — وهو Monimos— هو عربي كذلك ، وهم منعم . ودليله على ذلك ورود اسميهما في الكتابات اليونانية التي عثر عليها في (الكورة العربية) Provincia Arabia . وهما في رأيه من آلهة عرب هذه المنطقة ، وإن أضافهما بعض الكتاب الى السريان الوثنيين . والإلـه (بعل) و (نبو)[4] .

وللرها شأن خطير في الأدب السرياني والأدب النصراني وتأريخ النسطورية ، وقد أزهرت هذه المدينة خاصة في أواسط القرن الرابع وفي القرن الخامس للميلاد[5]. وتنسب الى ملكها (أبجر) Abgar رسالة قيل إنه بعثها إلى (المسيح) ومراسلات مع الحواريين الأولين[6] .

ويراد بـ (كاليرهو) Kallirrhoe = Callirhoe الموضع الـذي يعرف اليوم باسم (بركة ابراهيم)[7] (نبع خليل الرحمان)[8] .

وذكـر (بلينيـوس) أن سكـان (الجزيرة) Mesopotamia

---

١ البلدان (٤/٣٤٠) ، البكري ، معجم (١/٤٢٥) (طبعة وستنفلد) ، الاصطخري (٧٦) ، ابن حوقل (١٥٤) (ذعر) .

٢ البلدان (٤/٣٤٠) .

٣ Ency., III, P. 996.

٤ Mordtmann, Mythologische Miscellen, In ZDMG., 32, 1878, S. 564, Hill P. XGV.

٥ المشرق ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩١٢ م ، الجزء ٣ (ص ٢٠٤) .

٦ Eusebius, The Ecclesiastical History, I, XIII, (Kirsopp Lake), (Loeb Classical Library), Vol., I, PP. 85.

٧ Hill, P. XGV, Buckingham, Travels in Mesopotamia, 1827, I, III, E. Sachau, Reise in Syrien und Mesopotamien, 1883 S. 196.

٨ المشرق ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩١٢ م ، الجزء ٣ (ص ٢٠١) .

Arabes, Qui Praetavi Vocantur عرباً ، مقرهم Singara ، أي سنجار . وهو موضع قديم كان معروفاً في أيام الاشوريين . ويظن أن (تراجان) نزل به في أثناء سيره على الحضر قطيسفون Ktesiphon[٧] .

اما Hemesa = Homesa = Emesa أي حمص ، فيشبه تأريخها من أوجه عديدة تأريخ مدينة تدمر . فقد حكمتها أسرة عربية ، وازهر تأريخها في الزمن الذي أزهرت فيه حكومات المدن الأخرى التي ظهرت على اثر الضعف الذي حل بالسلوقيين . وتقع في السهل الذي يرويه نهر العاصي Orontes وعلى مسافة ميل منه . وعرفت بـ Emesa أيضاً عند اليونان والرومان[٢] . وفي ايام (بومبيوس) كانت مدينة Arethusa المجاورة لحمص ، وهي (الرستن) ، مقر أسرة عربية حاكمة[٣] . وفيها ولد القيصر Elagabalus[٤] . وبلغت أوج ازدهارها في ايام (سبتيموس سفيروس) Septimius Severus وفي ايام Elagabalus واسكندر سفيروس Alexander Severus ، وكانت أسقفية في عهد البيزنطيين .

وقد استدل بعض الباحثين من صُوَر اسماء ملوك حمص على أصلهم العربي . فالأسماء Sampsigeramus و Iamblichus = Jamblichus و Azizus و Soemus هي اسماء تحمل طابعاً عربياً خالصاً . وهي اسماء ترد في نصوص صفوية ، وفي نصوص عربية أخرى أيضاً ، مما يحملنا على الذهاب الى ان ملوك حمص هم عرب كذلك[٤] . فالاسم الأول وهو Sampsigeramus يمكن ان يقرأ (شمس جرم)، والاسم Jamblichus يمكن ان يكون (يملك) او (جميل) او ما شابه ذلك ، والاسم Azizo هو (عزيزو) ، اي (عزيز) . واما الاسم Soemus ، فيمكن ان يكون (سخيم) أو (سهيم) او ما شاكل ذلك .

---

١ Pliny., V, XXI, 86, Vol., II, P. 286, Sarre und Ernest Herzfeld, Archeo. Reise, I, S. 203, Ency., IV, P. 435, Lane P. 263.

٢ Ency., II, P. 309, Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 54-55, Pauly Emesa.

٣ (الرستن بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء متناة من فوق وآخره نون ، بليدة قديمة كانت على نهر الميماس ، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة) ، البلدان ٤/٢٤٩) .

٤ Ency., II, P. 309.

٥ العرب في سوريا قبل الاسلام، تأليف رينه ديسو، تعريب عبد الحميد الدواخلي، (ص ١١) ، R. Dussaud, 10, Die Araber, III, S. 126.

وقد كان حكام (حمص) المذكورين كهنة يخدمون هيكل (الشمس)، شأنهم في ذلك شأن سادات القبائل العربية الذين كانوا كهنة يخدمون آلهة القبيلة ويتحدثون باسمها بين أتباعهم[1].

وقد ذكر (اصطيفانوس البيزنطي) أن شيخاً عربياً اسمه (مانيكو) Maniko كوّن مشيخة في Chalcis اي (قنسرين) من بلاد الشأم[2].

وكانت القبائل العربية قد استقرت في هذه المنطقة قبل أيام (اصطيفانوس) بمدة طويلة. وفي (الحيار)، وهي من اعمال قنسرين، اصطدم الغساسنة بالمناذرة في سنة (٥٥٤) بعد الميلاد، فانتصر الغساسنة على خصومهم انتصاراً كبيراً. ولما استولى الفرس على (قنسرين) وانتزعوها من البيزنطيين، كان للقبائل العربية سلطان واسع في مناطق قنسرين وحلب ومنبج وبالس[3].

ويعد (اليطوريون) Ituraean من القبائل العربية البدوية، وهي في التوراة من نسل (اسماعيل)[4]. وهم من نسل (يطور) ابن اسماعيل. وتقع ارضهم بين (اللجاة) Trachonitae والجليل، وتسمى (جدورا)، وتقع في جنوب غربي دمشق. وهي من المناطق التي امتزج فيها العرب ببني إرم[5].

وقد توسع اليطوريون فدخلوا لبنان، وسكنوا البقاع Massyas، واستولوا على (بعلبك) Heliopolis، وتوسعوا نحو الغرب حتى هددوا (جبيل) Byblos وبيروت Berytos. وذلك في أيام ملكهم المعروف بـ (بطلميوس) Ptolmaios ابن Mennaios[6].

وقد استدل بعض العلماء من حشر التوراة اليطوريين في (الإشماعيليين) ومن اسم Mennaios وهو اسم والد الملك (بطلميوس) الذي عاش في القرن الأول

---

١ Die Araber, III, S. 126.

٢ Rostovtzeff, Vol., II, P. 482, Poidebard, Texte, P. 42, 207.

٣ Ency., II, P. 1021.

٤ التكوين، الاصحاح الخامس والعشرون، الآية ١٥؛ أخبار الأيام الاول، الاصحاح الأول، الآية ٣١، الاصحاح الخامس، الآية ١٩، قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/٢).

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/٢)، Paulys, 18 ter Halbband, 2377 - 2378.

٦ Die Araber., I, S. 314.

قبل الميلاد[1] ، ومن عثورهم على اسماء يطورية في كتابات لاتينية ويونانية تشير الى انها اسماء عربية الأصل ، استدلوا من هذا كله على انهم من العرب ، وان كانوا قد تأثروا بثقافة بني إرم . فقد تأثر بهذه الثقافة اكثر العرب الشماليين[2] .

ويعلق بعض العلماء اهمية كبيرة على اسماء الأشخاص في اثبات اصولهم. ووجهة نظرهم هذه في الأسماء ، هي التي جعلتهم يذهبون الى ان من ذكرناهم هم عرب في الأصل ، فان الطابع الظاهر على اسمائهم هو طابع عربي . وترد تلك الأسماء في الكتابات الصفوية ، واصحابها هم عرب من غير شك ، وان دوّنوا بقلم نبطي وبلغة نبطية . فالنبط انفسهم هم عرب ، كما أشرت الى ذلك في مواضع من هذا الكتاب ، وكما سأشير الى ذلك في مواضع تأتي .

ان تدوين اهل الشرق الأدنى لأفكارهم ولما يجول في خاطرهم بلغة بني إرم وقلمهم ، جعل من العسير على الباحثين الحكم في اصول الشعوب التي دوّنت بتلك اللغة والتي عاشت في الهلال الخصيب . ويدفعنا هذا التدوين الى وجوب اتخاذ موقف حذر ومتأن في ابداء آراء قطعية في أصول من ذكرنا ، فنظرية الحكم على اصول الناس استناداً الى اسمائهم وان بدت انها نظرية معقولة مقبولة ، لكنها مع ذلك غير علمية . فأكثر اسماء المسلمين في هذا اليوم هي اسماء عربية خالصة ، ما في ذلك شك ، فهل يجوز لنا أن نستنبط من هذه الأسماء بأن حملتها هم من اصل عربي ؟ ثم ان علينا أن نتذكر ان اسماء القبائل والأشخاص عند الشعوب السامية هي متقاربة ومتشابهة ، وهي واحدة في كثير من الأحايين ، بل ان علينا ان نتذكر ان ثقافة تلك الشعوب وآراءها متقاربة . ويعني هذان ان من الواجب علينا الا نتسرع فنحكم بأن ذلك مأخوذ من هذا الشعب أو من تلك الشعوب ، وان ذلك الشعب او هذا هو الأصل ، فمسألة تشابه الأسماء وتقاربها في النطق ، لا يمكن أن تكون في نظري ميزاناً توزن به اصول الناس . وهل يعقل ان يكون الأعاجم المسلمون عرباً ، لأن اسماءهم عربية ، او ان زنوج الولايات المتحدة هم من اصل اوروبي لأن اسماءهم اوروبية ؟

---

١ كان يهدد مدينة (دمشق) سنة ٨٤ ــ ٨٣ قبل الميلاد ، Die Araber, I, S. 314.

٢ العرب في سورية قبل الاسلام ، رينه ديسو (ص ١١ وما بعدها) ، Die Araber, I, S. 315.

ويتصل الحديث عن هذه الإمارات بالحديث عن (تدمر) المدينة المعروفة بـ (باميرا) Palmyra عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية من الاغريق واللاتين . وهي (تدمر امورو) في كتابات (تغلات فلاصر الأول) (تغلث فلاسر) (تغلت فلاسر)[1] في رأي بعض الباحثين[2] . وسأتكلم عنها بعد حين .

---

١ (تغلث فلاسر) ، قاموس الكتاب المقدس (١/٢٨٨) .

٢ Ency., III, P. 1020, Syria, Revue D'art Oriental et D'Archéologie, Tome VII, Paris, 1926, P. 77, Dhorme, Palmyre dans les Textes Assyriens, In Revue Biblique, 1924, PP..106, Ency., Brita., Vol., 17, P. 161, Hommel, In ZDMG., XLIV, 547.

obeikandl.com